نبوة محمد (ﷺ) في نظر المستشرقين الألمان

د. سحر جاسم عبد المنعم الطريحي
جامعة الكوفة/ كلية القانون

Mohammed Prophecy and The site of Germany Orientation

Dr. Sahar J. Al-Turaehi
University of Kufa / College of Law
Saharaltvdpd@gameel.com

Abstract

The search document of is not by the site of the thinking on their_different of countries and reasons as well they became effected by the personality of the Arabian prophet Mohammed and it is hard to figure what has been written and said about him، so his prophecy bring us so many people mind and after him and it will be forever the people who keep talking about him and when we search this subject and seek for the truth، we do not seek from that to give expression about any of the orientation and the searches to provide his true prophecy and his great personality because we do not have a single atom doubt on him because the prophecy as a Muslim un axcaptlaple for discussion and that goes to the prophet and his many reasons and legacy which it contains as not before him contain of all life needs in the donia and religion and the elements of power and proves of truth and deserving and in his great abnormal personality، it become impossible to understand it, all we want to say is correction in all the wrong and deceived things that they depends on it.

الملخص

لم تستأثر شخصية باهتمام المفكرين والباحثين على اختلاف أجناسهم وتوجهاتهم، كما استأثرت بها شخصية الرسول العربي ﷺ، ومن الصعب التنبؤ بحجم ما كتب وقيل في شأن رسالة الرسول ﷺ، فقد اجتذبت دعوته العقل منذ بعثته، وامتلكت ناصية القلم بعد وفاته، وستظل الشغل الشاغل لكل مستشرق مشكك في رسالة الإسلام ومن يحذو حذوهم.

وحين نبحث في هذا الموضوع ونتقصى حوافز الاهتمام، لا نسعى من وراء ذلك الى تقديم انطباع بالحاجة الى ذلك الاهتمام من المستشرقين والباحثين لتدعيم صحة نبوته وعظمة شخصيته فليس لدينا متقال ذرة من شك. فالنبوة بالنسبة لنا مسلّمة غير قابلة للنقاش والنظر لأن النبي في تعدّد مناقبه، وشمولية دعوته، التي جمعت كما لم يجمع دين قبلها بين استيعاب كل حاجات الحياة في الدين والدنيا والآخرة وشحنت بكل عوامل القوة وحجج وبراهين الصدق والحقانية وشكّل بشخصيته العظيمة ظاهرة استعصى على بعضهم فهمها. وكل ما أردنا قوله هو تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة التي وقعوا فيها والشبهات التي ادعوها.

الكلمات المفتاحية: المستشرقون، النبوة، شهادة القرآن، اخلاق، الرسول

المقدمة

لم تستأثر شخصية باهتمام المفكرين والباحثين على اختلاف أجناسهم وتوجهاتهم كما استأثرت بها شخصية الرسول العربي ﷺ، ومن الصعب التنبؤ بحجم ما كتب وقيل في شأن رسالة الرسول ﷺ، فقد اجتذبت دعوته العقل منذ بعثته، وامتلكت ناصية القلم بعد وفاته، وستظل الشغل الشاغل لكل مستشرق مشكك في رسالة الإسلام ومن يحذو حذوهم.

وحين نبحث في هذا الموضوع ونتقصى حوافز الاهتمام، لا نسعى من وراء ذلك الى تقديم انطباع بالحاجة الى ذلك الاهتمام من المستشرقين والباحثين لتدعيم صحة نبوته وعظمة شخصيته فليس لدينا متقال ذرة من شك. فالنبوة بالنسبة لنا مسلّمة غير قابلة للنقاش والنظر لأن النبي في تعدّد مناقبه، وشمولية دعوته، التي جمعت كما لم يجمع دين قبلها بين استيعاب كل حاجات الحياة في الدين والدنيا والآخرة وشحنت بكل عوامل القوة وحجج وبراهين الصدق والحقانية وشكّل بشخصيته العظيمة ظاهرة استعصى على بعضهم فهمها. وكل ما أردنا قوله هو تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة التي وقعوا فيها والشبهات التي ادعوها.

المطلب الأول: موقف المستشرقين الألمان من النبوة:

وقف اغلب المستشرقين الألمان من النبوة موقف المعاند، فاعترفوا بنبوة أنبياء بني إسرائيل وأنكروا نبوة محمد ﷺ، فالمستشرقون عموماً كانوا ينظرون الى نبوته ﷺ «نظرة عادية مجردة من الصوت الإلهي، وما ذلك إلا من قبيل التعصب الديني المبني على عداء سياسي، إنهم ينكرون أن يكون محمد ذا نبوة صحيحة، بينما هم يقرون بهذه النبوة نفسها لجميع أنبياء إسرائيل»[1]

أما موقف المستشرقين الألمان خاصة، فكان موقف التشكيك بصحة رسالة النبي ﷺ ومصدرها الإلهي، فهم ينكرون أن يكون الرسول نبيا موحى إليه من عند الله–جل شأنه– ويتخبطون في تفسير مظاهر الوحي التي كان يراها أصحاب النبي ﷺ أحياناً، وزوجته خديجة عليها السلام وابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام أحياناً أخرى، فمن المستشرقين من يرجع ذلك إلى صرع كان ينتاب النبي ﷺ حيناً بعد حين. ومنهم من يرجعه إلى تخيلات كانت تملأ ذهن النبي ﷺ، ومنهم من يفسرها بمرض نفسي، وهكذا، كأن الله سبحانه وتعالى لم يرسل نبياً قبله حتى يصعب عليهم تفسير ظاهرة الوحي، ولما كانوا كلهم ما بين يهود ومسيحيين يعترفون بأنبياء (التوراة) وهم كانوا أقل شأناً من محمد ﷺ في التاريخ والتأثير والمبادئ التي نادى بها، وكان إنكارهم لنبوة محمد ﷺ تعنتاً مبعثه التعصب الديني الذي يملأ نفوس أكثرهم كرهبان وقسس ومبشرين[2]

ويتبع ذلك إنكارهم أن يكون القرآن كتابا منزلا عليه من عند الله عز وجل، وحين يفاجئهم ما ورد فيه من حقائق تاريخية عن الأمم الماضية مما يستحيل صدوره عن أمي مثل محمد ﷺ يزعمون ما زعمه الجاهليون في عهد الرسول ﷺ من أنه استمد هذه المعلومات من أناس كانوا يخبرونه بها، ويتخبطون في ذلك تخبطاً عجيباً، وحين يفحمهم ما جاء في القرآن من حقائق علمية لم تعرف ولم تكتشف إلا في هذا العصر، يرجعون ذلك إلى ذكاء النبي ﷺ فيقعون في تخبط أشد غرابة من سابقه[3]

وأول ما نقف عنده من آرائهم ما ذهب إليه شيخهم من موقف متناقض اتجاه النبوة وشخصية الرسول الأعظم ﷺ، ووصفه بصفات لا يمكن أن تكون من صفات النبوة مطلقاً، فنجد بعد ان اعترف وقال: لابد لنا من الاعتراف بأن محمدا كان بالحقيقة نبيا، إذا محّصنا شخصيته بتجرد وتمعن وفهمنا النبوة فهما صحيحا[4]

بعد هذا الاعتراف بالنبوة، يرجع ويناقض نفسه ويصف شخصية النبي ﷺ بعدة صفات لا يمكن لنبي أن يتصف بها، بما أنزل من صفات لم يتصف بها غيره من البشر!؟

من هذه الصفات التي ذكرها نولدكه:

1- يصف النبي ﷺ بضعف العزم فيقول: إن محمدا كان بطبعه ضعيف العزم[5] ويوثق كلامه بالقول: لقد كان يخاف الى درجة أنه لم يتجرأ في البدء على المجاهرة برسالته ﷺ[5] من الملاحظ أن نولدكه قد وصف النبي ﷺ بهذه الصفة من محض خياله، لا لشيئ الا للحط من هذه الشخصية العظيمة، ولم يعلم نولدكه بخصوص عدم المجاهرة بالرسالة، إن هذه كانت خطة سياسية قد وضعها الرسول ﷺ في بدء الدعوة الإسلامية فقد كانت في بدايتها سرية استمرت لثلاث سنوات، وأن هذا الخفاء يتعلق بأمر الاهي وينطلق بفهم الواقع والبيئة التي نزلت فيها الدعوة وما يلزم من تأهيل الأرضية المناسبة للإعلان عنها وتأمين استمراريتها وقوة اندفاعها.

2- يصف روح النبي ﷺ – حاشاه – بالنقصان وإن روح النبي محمد كان يشوبها نقصان كبير يؤثر على سموه ﷺ[6]

أنّى لنولدكه أو لغيره في معرفة روح النبي محمد ﷺ التي كانت تتسامى فوق أرواح البشر من خلال صدقه وأمانته وعدالته حتى مع ألدّ أعدائه، وأن الجبلة التي طُبع عليها رسول الله ﷺ هي من خلقٍ خاص اختصه به الله تبارك وتعالى..

يعلل نولدكه ذلك بأن ﷺ النبوة لابد أن تصدر من المخيلة المنفعلة وموجبات الشعور المباشر، أكثر ما تصدر من الفعل النظري[7] والنبي ﷺ كما يقول نولدكه كان يفتقر الى هذا بشكل خاص [8]

3- بعد ما وصف النبي ﷺ بذكاء عملي كبير، يرجع فيقول: تعوزه القدرة على التجريد المنطقي إعوازا شبه تام ﷺ[9].

مَن من الأنبياء الذين سبقوا رسول الله ﷺ كان ينظر بشكل منطقي لوجود الله أو له فلسفة خاصة بنظرية الخلق مثلاً أو نظرية المعرفة حتى يتهم نبينا الأكرم بمثل هذا الإبهام، إن نولدكه ينظر الى رسول الله محمد ﷺ نظرته إلى الفيلسوف من أمثال أرسطو وسقراط وهذا يدلل في باطنه عن إعجاب شديد يحاول مع هذا اصطياد ما يراه هو بفكره القاصر أخطاء منطقية لرسول الله ﷺ.

لم يكتف نولدكه بتوجيه الاتهامات والنقص في شخصية الرسول الأعظم ﷺ نجده يدافع عن مسيلمة ويجري مقارنة عجيبة بين الدجال ورسول الله فيقول: ليس سجع مسيلمة بحاجة لأن يكون مستعارا من محمد، فالسجع كان شائعا لدى العرب قبل ذلك بمدة طويلة، كشكل مستحب للعبارات الدينية، ويظهر مسيلمة بالإجمال من الأصالة في التعبير[10]، ويضيف نولدكه هذه الأصالة أيضا حجة جديرة بالاعتبار[11] ويظهر تعاطفه الواضح من مسيلمه إن ما يزعم له من مضاهاة القرآن لا يبدوا أمرا مستعبدا[12]

هذا الكلام ليس بغريب من مستشرق مسيحي هدفه التشكيك في رسالة الإسلام والنيل منها. لا تعدوا كونها أباطيل لا صحة لها إلا التشويه بشخص الرسول ﷺ والقرآن الكريم، غير مستندة على دليل علمي أو دليل عقلي، ولا يمكن للعقل أن يقبلها لأن الهدف معروف... ومن المستشرقين من يتحدث عن الوحي والنبوة كما يتحدث الناس عن الدروشة والدراويش، أو كما يتحدث علماء النفس عن أبطال التاريخ وقادة الثورات، أو كما ينفرد به بعض الناس من خصائص العيون والآذان الداخلية، يلتقطون بها ما لا يتمكن الإنسان العادي من سماعه أو رؤيته، وهذا بنظرهم ما قاد الإنسان الى تجارب الدين [13].

ولعل ما قاله المستشرق الألماني هوبر تجريمه، في كتابه محمد ما يؤكد ذلك: لم يكن الإسلام في بادئ الأمر يبشر بدين جديد، بل أنما كان يدعوا إلى نوع الاشتراكية، فالأسلام في صورته الأولى الأصلية لم يكن يحتاج إلى أن ترجعه إلى ديانة سابقة تفسر لنا تعاليمه، ذلك لأننا إذا نظرنا إليه عن كثب نراه لم يظهر إلى الوجود كعقيدة دينية، بل كمحاولة للإصلاح الاجتماعي تهدف إلى تغيير الأوضاع الفاسدة، وعلى الأخص إلى إزالة الفروق الصارخة بين الأغنياء الجشعين والفقراء المضطهدين... لذلك تراه يفرض ضريبة معينة لمساعدة المحتاجين، وهو إنما يستخدم فكرة الحساب في اليوم الآخر كوسيلة للضغط المعنوي، وتأييد دعوته...[14].

وان جريمه لم يختلف عن سابقه، فهو ينفي النبوة عن رسول الله ﷺ ويجعل منه مصلحاً اجتماعياً يدعو الى الاشتراكية؟!.

ويقع كارل بروكلمان (Karl Brockelmann) في شبهة مماثلة حول نبوة الرسول ﷺ ورسالته؛ ففي معرض حديثه عن الأسباب التي جعلت النبي محمد ﷺ يعلن نبوته يقول انه: قد تحقق عنده أن عقيدة مواطنيه الوثنية فاسدة فارغة فكان يضج في أعماق نفسه هذا السؤال: الى متى يمدّهم الله في ضلالهم؟؛ وهكذا نضجت في نفسه الفكرة انه هو مدعوا الى أداء هذه الرسالة رسالة النبوة.. وقد تعرض لإحدى الخبرات الخارقة في غار حراء، وذلك بأن طائفا تجلى له هناك يوما، وهو الملك جبريل، على ما تمثله محمد فيما بعد فأوحى اليه أن الله اختاره لهداية الأمة.. وتحرر هو نفسه من آخر شكوكه بعد أن تكررت الحالات التي ناداه فيها الصوت الالهي وتكاثرت، ولم تكد هذه تنقضي حتى أعلن ما ظن أنه قد سمع كوَحيٍ من عند الله[15].

أراد بروكلمان أن ينسق كون محمد ﷺ نبياً حقيقةً فقال: وليس من الميسور أن نقرر على وجه الدقة ما إذا كان النبي قد استشعر انه مدعو لمثل هذه الرسالة العالمية[16]. ولو واجهنا المستشرق بروكلمان بمثل مقولته للنبي ﷺ؛ فنقول له: انه من غير الميسور علينا نحن أيضا أن نقرر على وجه التدقيق ما إذا كان كارل بروكلمان يستشعر انه يكتب في تاريخ الأدب العربي والحضارة الإسلامية والعقيدة والتاريخ الإسلامي هل يرى في هذا سبباً كافيا لاتهامنا إياه بذلك وأخرجنا إياه من دائرة البحث والتحقيق والموضوعية. هل كان لديه الدليل على أن النبي ﷺ كان يشك في نبوته أو في الوحي هل هناك نص ديني أو مقولة لأحد أصحابه أو حتى لكفار قريش تؤيد مثل ذلك الرأي؟ فكيف يشكون بنبوته، بل كيف كان يشك هو بنبوته؟[17].

ويصرّون على عدم الاعتراف لمحمد ﷺ بالنبوة، ولكن لا يستطيعون تجاهل القوة الروحية الهائلة التي كان يتمتع بها لما رأوا أعماله وأفعاله وأقواله: ((إن من غير المفيد فهم محمد خارج إطار زمانه وبيئته، ولقد كان أنصاره الذين رافقوا وحيه، ينظرون بإيمان إليه، وهو ما بدا في نظرنا شيئا غير عادي. ان بعض وسائل التنويم الذاتية، والتأملات، وممارسات الغيبوبة، كانت معروفة لدى

متصوفة الشعوب المتقدمة حضاريا فمن شبه الجزيرة العربية وحولها ولربما حولها محمد من صياغتها الخام الى عقيدة مطلقة صالحة، وربما تحقق له بلوغ القرب الإلهي جرّاء إيمانه بإمكان بلوغه بالصبر والمثابرة وبعض رياضيات العبادة...))[18].

ومن مظاهر هذا التحول في الموقف الديني ما ذكرته المستشرقة شيمل عن المستشرقين، وقد جمعت في عبارة واحدة بين النقيضين، الصورة الكئيبة السابقة والحقيقة الجديدة: ((لقد أثار محمد من الخوف والكره وحتى الازدراء في عالم الغرب أكثر مما أثارته شخصية تاريخية أخرى. فاذا كان دانتي في كوميديته الإلهية في أسفل سافلين، فإنما كان يعبّر بذلك عن أعمق المشاعر لدى مسيحيي القرون الوسطى الذين لم يكونوا يدركون بعد، أن دينا جديداً ايجابياً ناجحاً وجد الى جانب المسيحية، يؤلف معتنقوه جزءً هاماً من حوض المتوسط الذي كان خاضعاً للهيمنة المسيحية))[19].

ومنذ ظهور منهج الدراسات المقارنة واعتماده منهجاً معترفاً به في الجامعات الأوربية، اختلف أسلوب التعامل مع الإسلام ورسوله معاً، وغدا بالإمكان رفض أي رأي لا يلتزم بخط فكري معين، ومنذ ذلك الوقت وإلى اليوم أيضاً بدأ التفكير في طعن الإسلام ورسوله ﷺ ولكن بأسلوب رصين مهذب نوعاً ما، في ظاهرة العلم والمنهجية وباطنه الدس والهدم والتشويه، فقد حاول الدارسون الوقوف على أوجه الشبه والاختلاف بين الأنبياء والرسل منذ عهد إبراهيم عليه السلام بقصد حشر نبوة محمد ﷺ في مربع ضيق. والقول بمخالفة النبوة الإسلامية لنبوات السابقين....

المطلب الثاني: أدلة إثبات النبوة

إن علامات النبوة الصادقة هي عقيدة تحتاج إليها الأمة، وللعقيدة أسباب تمهد لظهور النبوة، والعقيدة تحتاج إلى رجل بأمانته ﷺ، وقد تجمعت هذه العلامات فخلق الله محمداً بن عبد الله ليكون رسولاً مبشراً بدين، وقد اجتمعت به صفات النبوة.

أما الأدلة على إثبات النبوة فهي[20]:

أولا: شهادة الكتب السابقة له على نبوته ﷺ:

لقد بشرت الكتب السماوية والأنبياء السابقون بنبوة محمد ﷺ، ومع أن اتباعهم حرفوا كتبهم لكي لا يبقى أثر لتلك البشارة، لكن المتأمل فيما بقي منها تتكشف له الحقيقة والمقصود أن البشارات به ﷺ موجودة في الكتب الموروثة عن الأنبياء قبله، حتى تناهت إلى آخر بني إسرائيل، وهو عيسى بن مريم عليه السلام، وقد قام بهذه البشارة في بني إسرائيل[21]، وقص الله خبره في ذلك فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يبَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُواْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[22].

في التوراة:

- فجاء في سفر (التثنية): أقيم لهم من وسط إخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به بإسمي أنا اطالبه، وأما النبي الذي يطغى فيتكلم بإسمي كلاما لم أوصفه أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي وإن قلت في قلبك كيف تعرف الكلام الذي سيتكلم به الرب، فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه[23].

وقد ذكر اليهود أن هذه البشارة ليوشع بن نون خليفة موسى عليه السلام والحقيقة أنها ليست ليوشع بن نون لأنه ليس كموسى وليس من بني اخوانهم أي بني إسماعيل[24]. أن النبي المماثل لموسى عليه السلام في الرسالة العظيمة والشريعة هو محمد ﷺ، واخوة بني إسرائيل هم العرب، لانهما يجتمعان مع ابراهيم عليه السلام، ولو كان النبي الموعود به من بني إسرائيل، لقال من أنفسهم وقوله واجعل كلامي في فمه يوافق حال النبي من الأمية، وعدم تعاطي القراءة والكتابة[25].

مع أن اليهود كانوا ينتظرون في مدة المسيح نبياً آخر غير المسيح عليه السلام فإنهم أرسلوا ليوحنا المعمدان (يحيى) يسألونه عن نفسه فقالوا له: أنت ايلياء؟ فقال: لا، فقالوا: أنت المسيح، فقال: لا، فقالوا: أنت النبي، فقال: لا، فقالوا: ما بالك اذا تعمد؟ إذا كنت ليس ايلياء ولا المسيح ولا النبي[26].

فهذه العبارات تدل على أن التوراة تبشر بايلياء والمسيح، ونبي لم يأتِ حتى زمن المسيح _ وتشير التوراة إلى أن ن صفة هذا النبي مثل صفة موسى عليه السلام. كما أن التوراة أخبرتنا عن صفات النبي الصادق، فالنبي الصادق يخبر بما سيأتي، ثم يتحقق هذا الأخبار، وها هو نبينا ﷺ قد أخبر بأمور كثيرة كلها وقعت وهذا يدل على صدق نبوته.

- في سفر التكوين، إصحاح 21، عن إسماعيل وأمه هاجر: ((وكان الله مع الغلام فكبر. وسكن في البرية وكان ينمو رامي قوس. وسكن في برية فاران. وأخذت له امه زوجة من أرض مصر))[27].

ففاران هي مكة التي سكنها اسماعيل وابناؤه ومن تلألأ من جبل فاران وعن يمينه نار شريعة لهم، وهو السراج المنير الذي أرسله الله من جبل حراء ليضيء سماء العالم بنور هداية القرآن، ويحرق الكفر والنفاق بنار وغضب القهار[28].

- وفي سفر حيقوق النبي - إصحاح 3.

الله جاء من تيمان، والقدوس من جبل فاران. سلاه. جلاله غطى السماوات والأرض. امتلأت من تسبيحه. وكان لمعان كالنور. وله من يده شعاع. وهناك استتار قدرته[29].

وقد جاءت البشارة بعنوان (محمد رسول الله) في فصول من هذا الإنجيل منها: ما جاء في الفصل التاسع والثلاثين: ((فلما انتصب آدم على قدميه رأى في الهواء كتابة تتألق كالشمس نصها " لا إله إلا الله ومحمد رسول الله " ففتح حينئذ آدم فاه وقال: "أشكرك أيها الرب، إلهي لأنك تفضلت فخلقتني، ولكن أضرع إليك أن تنبئني ما معنى هذه الكلمات "محمد رسول الله" فأجاب الله: مرحباً بك يا عبدي آدم، واني أقول لك انك أول إنسان خلقت...))[30] فهذه شهادات من التوراة والإنجيل واضحة، تشهد لرسول الله بنبوته ورسالته.

ثانيا: شهادة القرآن على نبوة محمد ﷺ:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[31].

هذا الرسول كان مكتوباً باسمه ونعوته الشريفة، بحيث لا يشكّون أنه هو، ولذلك عدل عن أن يقال يجدون نعته أو وصفه مكتوباً عندهم، والظرف عِندَهُمْ لزيادة التقرير وإن شأنه حاضر عندهم لا يغيب عنهم[32].

ذكرت الآية المباركة ست صفات لرسول الله مضافاً إلى مقام الرسالة:

1- أنه نبي الله.

والنبي يطلق على كل من يبين رسالة الله إلى الناس، ويوحى اليه إن لم يكن مكلفاً بالدعوة والتبليغ، ولكن الرسول مضافا الى كونه نبياً مكلف بالدعوة الى دين الله وتبليغه والاستقامة في هذا السبيل.

وعلى هذا يكون مقام الرسالة أعلى من مقام النبوة، وبناء على هذا يكون معنى النبوة مأخوذاً من مفهوم الرسالة ايضاً، ولما كانت الآية بصدد توضيح وتفصيل خصوصيات النبي ﷺ، لذلك ذكرها على نحو الاستقلال، وفي الحقيقة إن ما أخذ في مفهوم الرسول مجملاً، ذكر في الآية بصورة مستقلة من باب توضيح وتحليل صفاته.

2- أنه نبي أمي لم يتعلم القراءة والكتابة، وقد نهض من بين جماهير الناس من أرض مكة أم القرى.

3- إن هذا النبي هو الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل.

4- من سمات هذا النبي أن دعوته تتطابق لنداء العقل مطابقة كاملة، فهو يدعو الى كل الخيرات وينهي عن كل الشرور والممنوعات العقلية، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر.

5- إن محتوى دعوته منسجم مع الفطرة الإنسانية السليمة، فهو يحل ما ترغب فيه الطباع السليمة ويحرم ما تنفر منه ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث.

6- انه ليس كأدعياء النبوة والرسالة الذين يهدفون الى توثيق الناس بأغلال الاستعمار والاستثمار والاستغلال، بل هو على العكس من ذلك، انه يرفع عنهم إصرهم والأغلال التي في عقولهم وأفكارهم وتثقل كاهلهم ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم.

وحيث إن هذه الصفات الست بالإضافة الى الصفة السابعة وهي مقام الرسالة تشكل من حيث المجموع علامة واضحة ودليل قاطع على صدق دعواه.

ولابد من الوقوف عند نقاط هامة هي (خمسة أدلة على النبوة في آية واحدة). فلم ترد في آية من آيات القرآن الكريم أدلة عديدة على حقانية دعوة الرسول الأكرم ﷺ كما جاء في الآية المباركة (157) من سورة الإسراء والتي تثبت نبوته .

الأول: انه "أمي" لم يتعلم، ولكنه مع ذلك أتى بكتاب لم يغير مصير أهل الحجاز فقط، بل كان نقطة تحول هام في التاريخ البشري، حتى ان الذين لم يقبلوا بنبوته لم يشكوا في عظمة كتاب الله وتعاليمه. فهل يتفق والحسابات الطبيعية أن يقوم بهذا العمل شخص نشأ في بيئة جاهلية ولم يتتلمذ على أحد؟

الثاني: ان دلائل نبوته قد وردت بتعابير مختلفة في الكتب السماوية السابقة، فإن البشارات التي جاءت في تلك الكتب لا تنطبق إلا عليه ﷺ فقط.

الثالث: إن محتويات دعوته تنسجم انسجاماً كاملاً مع العقل، لأنه يدعو الى المعروف، والنهي عن المنكر والقبائح.

الرابع: ان محتويات دعوته منسجمة مع الطبع السليم والفطرة السوية.

الخامس: لو لم يكن من جانب الله لكان عليه أن يقوم بما يمضي مصالحه الخاصة، وفي هذه الصورة كان يتعين عليه أن لا يرفع الأغلال والسلاسل عن الناس، بل عليه أن يبقيهم في حالة الجهل والغفلة لاستغلالهم بنحو أفضل، في حين أننا نجده يحرر الناس من الأغلال الثقيلة؛ أغلال الجهل والغفلة عن طريق الدعوة المستمرة الى العلم والمعرفة[33].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[34]، فهذه شهادة إخبار من الله تعالى بنبوة محمد ﷺ، وهناك نوع آخر من الشهادات وهو شهادة المعجزات الدالة على نبوته ﷺ، وأعظم معجزة هي كتاب الله الذي أنزله على نبيه، وجعله معجزة خالدة على مر الدهور والأيام، فهو دال على صدق نبوته.

ثالثا: الأدلة من السنة الشريفة.

- قال النبي ﷺ للإمام علي عليه السلام: ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين وهذا الخبر من دلائل نبوته ﷺ لأنه إخبار صريح بالغيب[35]، لايحتمله التمويه والتدليس، كما تحتمله الأخبار المحملة، وصدق قوله "والمارقين" أولاً في الخوارج يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، وصدق قوله "الناكثين" كونهم نكثوا البيعة بادئ بدء[36] وقد كان ﷺ يتلو وقت مبايعتهم له: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ﴾[37].
- احتجاج الإمام الرضا عليه السلام مع الجاثليق: التفت الإمام الرضا عليه السلام الى الجاثليق وقال: هل دل الإنجيل على نبوة محمد ﷺ؟ قال: لو دل الإنجيل على ذلك ما جحدناه، فقال الإمام عليه السلام: أخبرني عن السكتة التي لكم في السفر الثالث، فقال الجاثليق: اسم من أسماء الله تعالى لا يجوز لنا أن نظهره، فقال الإمام الرضا عليه السلام: فإن قررتك أنه اسم محمد وذكره، وأقر به عيسى أنه بشّر بني إسرائيل بمحمد، لتقرّ به ولا تنكره؟، قال الجاثليق: إن فصلت أقررت فإني لا أرد الإنجيل ولا أجحد، فقال الإمام الرضا عليه السلام: فخذ على السفر الثالث الذي ذكر فيه محمد وبشارة عيسى بمحمد، قال الجاثليق، هات!، فأقبل الإمام الرضا عليه السلام يتلو ذلك السفر من الإنجيل حتى بلغ ذكر محمد ﷺ، فقال: يا جاثليق من هذا الموصوف؟، قال الجاثليق: صفه، قال عليه السلام: لا أصفه إلا بما وصفه الله، وهو صاحب الناقة والعصا والكساء، النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم يهدي الي الطريق الأقصد، المنهاج الأعدل، والصراط الأقدم. سألتك يا جاثليق؛ بحق عيسى روح الله وكلمته،

هل تجدون هذه الصفة في الإنجيل لهذا النبي؟ فأطرق الجاثليق مليّاً وعلم إن جحد الإنجيل كفر، وقال: نعم هذه الصفة من افنجيل، وقد ذكر في الإنجيل هذا النبي ولم يصح عند النصارى إنه صاحبكم[38].

رابعا: أخلاقه ﷺ تدل على نبوته.

إن توافر الأخلاق في نبينا محمد ﷺ، والفضائل برهان ساطع على صدقه في نبوته ورسالته، فهو الذي جمع بين الصبر ولين الجانب والرحمة والشجاعة والخشوع والعبادة والترفع عن الأهواء الشخصية، ورعاية الأيتام، والعطف على الأرامل والفقراء، وقد بين الماوردي أن ذلك من دلائل نبوته، فقال ﷺ فإن قيل ليست فضائله دليلا على نبوته ولم يسمع بنبي احتج بها على أمته، ولا عول عليها في قبول رسالته، لأنه قد يشارك فيها، حتى يأتي بمعجز يخرق العادة فيعلم بالمعجز أنه نبي لا بالفضل. قيل: الفضل من إماراتها وإن لم يكن من معجزاتها، ولأن تكامل الفضل معوز، فصار كالمعجز، ولأن من كمال الفضائل اجتناب الكذب، وليس من كذب في ادعاء النبوة بكامل الفضل فصار كمال الفضل موجبا للصدق، والصدق موجبا لقبول القول، فجاز أن يكون من دلائل الرسل[39].

خامسا: الأدلة العلمية على نبوته ﷺ.

لقد جعل تعالى حجة نبوة خاتم النبيين عين موضوع رسالته، وهو كتابه المعجز للبشر بهدايته وبعلومه وبإعجازه اللفظي والمعنوي وبأنباء الغيب الماضية والحاضرة والآتية فيه ليربي البشر على الترقي في هذا الاستقلال الى ما هم مستعدون له من الكمال[40].

وبهذا يمكن القول أن نبوة محمد ﷺ قد ثبتت بنفسها أي بالبرهان العلمي والعقلي الذي لاشك فيه.

وأخيرا ترى الباحثة بعد عرض بعض أدلة إثبات النبوة، من الأفضل أن نختم المبحث بمقولة لمستشرق منصف هو المستشرق الفرنسي ادوارد مونتيه مدرس اللغات الشرقية في مدرسة جنيف في مقدمة ترجمته الفرنسية للقرآن: ((كان محمد نبيا صادقا كما كان أنبياء بني إسرائيل في القديم، كان مثلهم يؤتى رؤيا ويومى إليه، وكانت العقيدة الدينية وفكرة وجود الإلوهية متمكنتين فيه، كما كانتا متمكنتين في أولئك الأنبياء أسلافه، فتحدث فيه كما كانت تحدث فيهم ذلك الإلهام النفسي، وهذا التضاعف في الشخصية، اللذين يحدثان في العقل البشري المرائي والتجليات والوحي والأحوال الروحية التي من بابها))[41]

لقد أكد مونتيه أن كل ما ثبت لأنبياء بني إسرائيل فهو ثابت لمحمد ﷺ؛ إلا أننا نقول أن المسلم يعتقد أن جميع خصائص النبوة في محمد ﷺ هي أكمل شكلاً وموضوعاً وأوضح رؤية وأبعد عن الشبهات.

خاتمة البحث:

- الاستشراق الألماني استشراق عريق له مميزاته وسماته التي تختلف عن مدارس الاستشراق الأخرى، ودراسته تمثل جانب مهم جدا بالنسبة لنا نحن إذ إننا موضوع الاستشراق تراثا وتاريخا وواقعا، سواء وافقنا نتاجهم أو اختلفنا مع أكثرها فهذا لن يقلل من أهميتها، ومن ثم دراستها ونقدها.
- ان الدراسات الاستشراقية الألمانية المعنوية بالإسلام بدأت تتحول شيئاً فشيئاً نحو الدراسة الأنثربولوجية، فيما يبدو توجه لتصنيف الحضارة الإسلامية ضمن مفهوم " الثقافة " الخاصة بالمجتمعات غير الغربية ودراسات القرآن الجديدة الآن إذا لم تكن تدرس في إطار الفيلولوجيا التاريخية (مثل دراسة كريستوف لوكسمبورغ Christoph Luxenberg عام 2000) فإنها تصب في توجه الدراسات الأنثربولوجية.
- من أهم الموضوعات التي ركز عليها المستشرقون الألمان في أبحاثهم ودراستهم القرآنية وبذلوا جهودا مضنية هي محاولة إنكار المصدر الإلهي للقرآن الكريم وانه لم يكن الوحي الخارجي بوساطة ملك الوحي، وانه من تأليف محمد ﷺ وانه ﷺ قد لفقَ – حسب زعمهم – مادة القرآن من كتب اليهود والنصارى، واستعان برهبان النصارى وأحبار اليهود في تأليفه للقرآن.
- وبالتالي أدى ادعائهم إلى إنكار نبوة محمد ﷺ وعدوه مجرد قائد للأمة الإسلامية ومصلح اجتماعي ؛ لذلك اعتبروا القرآن الكريم كتاب تاريخي غير معجز لأنه من تأليف البشر وليس من مصدر ألهي.

الهوامش والإحالات:

(1) شوقي أبو خليل، الإسلام في قفص الاتهام،17.
(2) ظ: مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون (ما لهم وما عليهم)،26
(3) ظ: المرجع نفسه، 26ـــ 28.
(4) نولدكة، تاريخ القران،5.
(5) المرجع نفسه، 5
(6) نولدكة، تاريخ القران،4.
(7 المرجع نفسه، 4.
(8) المرجع نفسه، 4 و 5.
(9) نولدكة، تاريخ القران، 4 و 5.
(10) المرجع نفسه، 52.
(11) المرجع نفسه،52.
(12) المرجع نفسه 52.
(13) ظ: دائرة معارف العلوم الاجتماعية، 50 وما بعدها.
(14) harbet grimme. 1982 encyclopedia of socialscinces (1957).vol.13.
(230).P + دائرة معارف العلوم الاجتماعية، مجلد 13، 230.
(15) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، نقله إلى العربية: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، 36.
(16) كارل بروكلمان، تأريخ الأدب العربي، 1 / 125.
(17) ظ: محمد عللوه، الغزو الفكري والرد على افتراءات المستشرقين، 302.
(18) lohmann. The wnne woelds zam mohammad zam propheten allahs gewords.
(19) schimmel.anne marie.mohammad das schoene bilde.s.21.
(20) ظ: محمد أمين، المستشرقون والقرآن الكريم، 188 ـــ 198.
(21) ظ: ابن كثير، شمائل الرسول ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه، 376.
(22) سورة الصف / الآية 6.
(23) سفر التثنية، إصحاح 18 / 18 ـــ 22.
(24) ظ: محمد الخضري، نور اليقين، 35.
(25) ظ: محمد الخضري، محمد رسول الله وخاتم النبيين، 18 ـــ 20.
(26) إنجيل يوحنا، إصحاح 1/ 21 ـــ 26.
(27) سفر التكوين، إصحاح 21، 28.
(28) الوحيد الخراساني، منهاج الصالحين، 122.
(29) سفر حيقوق النبي، إصحاح الثالث، 40.
(30) أنجيل برنابا، الفصل 39، ح 14 و 15 و16 و17 و18.
(31) الأعراف، 157.
(32) ظ: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 9 / 227.
(33) ظ: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، 5 / 245 ـــ 250.
(34) سورة آل عمران / الآية 68.
(35) ظ: المعتزلي، شرح نهج البلاغة، 1 / 201.
(36) ظ: جعفر عباس الحائري، بلاغة الإمام علي بن الحسين، 98 ـــ 99.
(37) سورة الفتح / الآية 10.
(38) ظ: المجلسي، بحار الأنوار، 49 / 75، 76
(39) الماوردي، دلائل النبوة، 1 / 420.
(40) ظ: محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، 82.
(41) المرجع نفسه، 59.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم خير ما نبتدأ به

الكتب المقدسة

1) الكتاب المقدس _ العهد القديم _ دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط (بدون تاريخ).
2) الكتاب المقدس _ مجمع الكنائس الشرقية، ط2، دار المشرق، بيروت _ لبنان _ 1408هـ/1988م.
3) الكتاب المقدس (العهد القديم)، الكنيسة، دار الكتاب المقدس، 1400هـ/1980م.
4) الكتاب المقدس (العهد الجديد)، الكنيسة، دار الكتاب المقدس، 1400هـ/1980م.

المصادر والمراجع العربية:

1) ابن كثير: ابو الفداء عماد الدين اسماعيل بن كثير(ت:774هـ)، شمائل الرسول ودلائل نبوت، ط2، دار الرئد العربي، بيروت _ لبنان _ 1407هـ / 1987م.
2) بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، نقله الى العربية: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط7، دار العلم للملايين، بيروت _ لبنان _ 1977م.
3) بروكلمان (كارل بروكلمان)، تاريخ الأدب العربي، ترجمة: د. عبد الحميد النجار، ط3، دار المعارف _ القاهرة.
4) جعفر عباس الحائري، بلاغة الامام علي بن الحسين(ع)، تحقيق وجمع: جعفر عباس الحائري، ط1، مطبعة دار الحديث للطباعة والنشر _ 1425هـ.
5) شوقي أبو خليل، الاسلام في قفص الاتهام، ط4، 1400هـ.
6) حسين الهراوي، دائرة معارف العلوم الاجتماعية، طبعة 1335هـ.
7) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ط: محمد علي صبيح، مصر _ 1373هـ.
8) محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، طبعة 8، المكتب الاسلامي، 1380هـ.
9) المجلسي: محمد باقر (ت:1111هـ)، بحار الأنوار، ط2، مؤسسة الوفاء، 1403هـ.
10) المعتزلي: عماد الدين أبي الحسن عبد الجبار (ت:415هـ)، شرح نهج البلاغة، مؤسسة الكتب الثقافية _ بيروت _ لبنان.
11) محمد الخضري، نور اليقين، ط2، مؤسسة علوم القرآن، دمشق _ 1403هـ.
12) محمد الخضري، محمد رسول الله وخاتم النبيين، دار العلم للملايين، بيروت _ لبنان _1402هـ.
13) محمد أمين حسن محمد بني عامر، المستشرقون والقرآن الكريم، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن _ 2004م.
14) محمد عللوه، الغزو الفكري والرد على افتراءات المستشرقين، ط1، دار الأقصى، دمشق _ سوريا _ 2002م.
15) مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون، (مالهم وما عليهم)، دار الوراق للنشر والتوزيع، المكتب الاسلامي.
16) الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد (قاضي القضاة)، (ت:450هـ)، اعلام النبوة، مطبعة التمدن، الاسكندرية، 1330هـ.
17) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، طبعة منقحة وجديدة مع الاضافات.
18) نولدكه (تيودور نولدكه)، تاريخ القرآن، نقله الى العربية: جورج تامر، تعديل: فريدرش شفالي، منشورات الجمل، 2008 م.
19) الوحيد الخراساني
20) harbet grimme. 1982 encyclopedia of socialscinces (1957).vol.13
21) lohmann. The wnne woelds zam mohammad zam propheten allahs gewords.
22) schimmel.anne marie.mohammad das schoene bilde.s.21.